ثلاثة أقوال منها وجهان في مذهب أحمد أحدهما أنه لا قضاء عليه بحال بناء
على أن حكم الخطاب لا يثبت في حق العبد إلا بعد بلوغ الخطاب إليه والثاني
عليه القضاء بكل حال كما يقوله من يقوله من أصحاب الشافعي وغيره و
الثالث يفرق بين من أسلم في دار الحرب ومن أسلم في غيرها كما يقول ذلك
من يقوله من أصحاب أبي حنيفة والأول أظهر الأقوال وأيضا فقد تنازع
الناس فيمن ترك الصلاة عمدا بغير عذر أو الصوم هل يصح منه القضاء
أم قد استقر عليه الذنب فلا يقبل منه القضاء على قولين معروفين وليس هذا
موضع هذا وإنما المقصود هنا أنه ليس في علماء المسلمين من يقول بسقوط
الصلاة عمن هو عاقل على أي حال كان فمن تأول قوله تعالى واعبد ربك حتى
يأتيك اليقين على سقوط العبادة بحصول المعرفة فإنه يستتاب فإن تاب
وإلا قتل والمراد بالآية اعبد ربك حتى تموت كما قال الحسن البصري لم يجعل
الله لعبادة المؤمن أجلا دون الموت وقرأ الآية واليقين هو ما يعاينه
الميت فيوقن به كما قال تعالى عن أهل النار وكنا نكذب بيوم الدين حتى
أتانا اليقين وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات عثمان بن مظعون قال
أما عثمان فقد جاءه اليقين من ربه والمقصود هنا أن هؤلاء الملاحدة و
من شركهم في نوع من الكلام لما ظنوا أن كمال النفس في مجرد العلم وظنوا أن ذلك
إذا حصل فلا حاجة إلى العمل وظنوا أن ذلك قد حصل لهم ظنوا سقوط الواجبات
العامة عنهم وحل المحرمات العامة لهم وضلالهم من وجوه منها ظنهم أن الكمال
في مجرد العلم والثاني ظنهم أن ما حصل لهم علم والثالث ظنهم أن ذلك العلم
هو الذي يكمل النفس وكل من هذه المقدمات كاذبة فليس كمال النفس
في مجرد العلم ولا في أن تصير عالما معقولا موازيا للعالم الموجود بل لا بد من
العمل وهو حب الله وعبادته فإن النفس لها قوتان علمية وعملية فلا تصلح

الا بصلاح

الا بصلاح الأمرين وهو أن تعرف الله وتعبده والجهمية هم خير من هؤلاء بكثير ومع
هذا فلما قال جهم ومن وافقه أن الإيمان مجرد المعرفة أنكر ذلك أئمة
الإسلام حتى كفر من قال بهذا القول وكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل وغيرهما وهذا
القول وإن كان قد نصره أبو الحسن الصالحي والأشعري في أكثر كتبه وأكثر أصحابه
فهو من أفسد الأقوال وأبعدها عن التصحيح كما قد بيناه في غير هذا الموضع
لما بينا الكلام في مسمى الإيمان وقبوله للزيادة والنقصان وما للنزاع في ذلك
من النزاع وأما المقدمة الثانية فلو كان كمال النفس في مجرد العلم فليس هو أي
علم كان بأي معلوم كان بل هو العلم الذي لا بد منه العلم بالله وهؤلاء ظنوا
أنه العلم فليس هو أي علم كان بالوجود بما هو موجود وظنوا أن العالم أبدي أزلي
فإذا حصل لها العلم بالوجود الأزلي الأبدي كملت نفسه وعلى هذا بنى
أبو يعقوب السجستاني وغيره من شيوخ الفلسفة والباطنية أقوالهم
وكذلك أمثالهم من الفلاسفة كالفارابي وغيره وابن سينا وإن كان
أقرب إلى الإسلام منهم ففيه من الإلحاد بحسبه وأبو حامد وإن سلك
أحيانا مسلكهم لكنه لا يجعل العلم مجرد الوجود موجبا للسعادة بل يجعل
ذلك في العلم بالله وقد يقول في بعض كتبه إنه العلم بالأمور الباقية وهذا
كلامهم فمن قال إن العالم أزلي أبدي قال بقولهم ومن قال إن كل ما سوى الله
كان معدوما وصار موجودا لم يلزمه ذلك وابن عربي وابن سبعين ونحوهما جمعوا
بين المسلكين فصاروا يجعلون كمال النفس هو العلم بالوجود المطلق و
يقولون إن الله هو الوجود المطلق فأخذوا من طريقة الصوفية أنه
العلم بالله وأخذوا من كلام هؤلاء أنه العلم بالوجود المطلق وجمعوا بينهما فقالوا
إن الله هو الوجود المطلق وأما المقدمة الثالثة فزعموا أنهم حصل لهم العلم
بالوجود وهذا باطل فإن كلامهم في الإلهيات مع قلته فالضلال أغلب عليه